﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾ [طه: 67 - 68]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقال من ظاهر التَّخييلِ إلى باطن الخيفة

بعد أن ذكر في الآية السابقة ما رآه موسى ﷺ من أنّ حبال السَّحرةِ وعِصيَّهم تبدو كأنّها تسعى، ذكر هنا ما دار في نفسه من الخوف، وشدّة الموقف عليه، فجاءه الوحي من السّماء؛ ألَّا تخفْ إنّك أنت الأعلى، فهو انتقالٌ من بيانِ ما حدث لموسى ﷺ في الظَّاهر إلى بيانِ ما حدث له في الباطن.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَوْجَسَ﴾: (وجس) أَصْلٌ يَدُلُّ على إحساس بشيء وتسمُّعٍ له، والوَجْسُ: فزعةُ القلبِ، يُقال: أوجسَ القلبُ فزَعًا، وتوجَّستِ الأذنُ: سمعتْ فزعًا[1]، والوَجْس: الصّوت الخفيّ، والتَّوَجُّس: التَّسمّع، والإيجاسُ: وجود ذلك في النّفس، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذاريات: 28]، فالوَجْس: حالةٌ تحصُل من النّفس بعد الهاجِس؛ لأنّ الهاجِسَ مبتدَأُ التّفكير، ثمّ يكون الواجِسُ الخاطرَ[2]، فقوله: ﴿فَأَوْجَسَ﴾؛ أي: أخفى في نفسه الخوف منهم.

2) ﴿خِيفَةً﴾: (خوف) أَصْلٌ يَدُلُّ على الذُّعرِ، والخوف: توقُّعُ مكروهٍ عن أَمارَةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ، والتَّخوُّف: التَّنقُّص، وخاوَفَني فلانٌ فخُفتُه: صرت أشدَّ خوفًا منه، والخيفَةُ: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف[3]، والمعنى في الآية: تلك الحالة التي كان عليها موسى من الخوف من حِذْقِ السَّحَرةِ.

(1) الخليل، العين: (وجس).
(2) الأصفهانيّ، المفردات: (وجس).
(3) ابن فارس، مجمل اللغة، والأصفهانيّ، المفردات: (خوف).

3) ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: (علو) أَصْلٌ، والعُلْوُ: ضدّ السُّفْل، وقد عَلا يَعْلو عُلوًّا وهو عالٍ، فـ(عَلا) بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثر، ويُقال: عليَ في المكارم يَعْلَى عَلاءً، وعلا في المكان يعلو عُلوًّا[1]، و(أعلى) صيغة مبالغة، ومقصود بها في الآية: الغالب والظَّافر.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تثبيت المؤمنين إنَّما يكون بعونِ رب العالمين

تُبيِّن الآيةُ ما حصل لموسى ﷺ من صنيع السّحرة، وأنَّه قد أثّر فيه، والإيجاس: الإخفاء والإضمار، والخيفَة: الخوف؛ أي فأخفى موسى ﷺ في نفسه شيئًا من الخوف، حين رأى حبال السّحرة وعصيّهم تتحرّك وتهتزّ وتسعى، وخوفه هذا حدث له بمقتضى الطبيعة البشرية عندما رأى هذا الأمر الهائل من السِّحر، الذي سيُرهب النَّاس ويؤثّر في نفوسهم، فيصرفهم عن دعوته، فلمَّا جاءه الوحي من عند الله تأييدًا له وتثبيتًا بقوله تعالى: ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؛ أي: قلنا له عندما أوجس في نفسه خيفة من فعل السحرة: لا تخف يا موسى ممَّا فعلوه، إنّك أنت الأعلى عليهم بالحقّ الذي معك وهم جاؤوا بالباطل[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الفاء ودلالتُها:

سحرٌ عظيمٌ يُعقِبُ خيفةً مُسْتَكِنَّة

أفادت الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ﴾ الدّلالة على سرعة ما أصاب موسى من الخوف والخشية ممَّا رأى، وهذا يدلُّ على قوَّة السِّحر الذي ألقاه السَّحرةُ من الحبال والعِصيِّ التي خُيّل إليه أنّها تسعى؛ فأوجس منها خيفة، ويمكن أن تكون دلالتها كذلك على السّببيّة؛ إذ أوجس خيفة بسبب ما خُيِّل إليه،

(1) ابن فارس، مجمل اللغة: (علو)، والأصفهانيّ، المفردات: (علا).
(2) طنطاوي، الوسيط: 9/ 124.

من حركات ما أُلقيَ من الحبال والعصيّ، وما حدث من خوارق العادات وحركة الجمادات.

سرّ استعمال صيغة الفعل الماضي ﴿فَأَوْجَسَ﴾:

المـقـارنـةُ بين إيجاس الخيفةِ وإظهار الخوفِ

عندما رأى موسى الحبال والعصيّ المُلقاة كأنّها تسعى؛ أوجس خيفة في نفسه، فجاء الفعل ﴿فَأَوْجَسَ﴾ بصيغة الماضي للدّلالةِ على استقرار الخيفة في نفسه عليه السلام، وللإشارةِ إلى ما أصابه قبلها عندما ألقى عصاه فرآها تهتزّ كأنّها جانّ قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ [النمل: 10]، كأنَّه قال: أوجس الخيفة هنا، ولم يولِّ مدبرًا بسبب خوفه كما كان في أوّل مرَّة.

نكتةُ استعمال لفظ ﴿فَأَوْجَسَ﴾:

الخوف طبيعة بشرية قد يعتري الأنبياء مظهرٌ من مظاهره

آثر النَّظم استعمال مفردة الإيجاس في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾، وهو عبارة عما يعتري نفس الإنسان إذا وقع ظنّه في أمر على شيء يَسوؤُه، فهو فعل نفسيّ، وقرينة ذلك قوله: ﴿فِى نَفْسِهِۦ﴾[1]، وإيجاس الخوف: إضمار شيء منه، وكان ذلك لطبعِ الجِبِلَّةِ البشريّة، وأنّه لا يكاد يمكن الخلو من مثله، فخاف موسى أن يخالج النَّاس شكّ فلا يتبعوه[2]، وانتصاب ﴿خِيفَةً﴾ على المفعولية؛ أي وجد في نفسه[3]، وقد اقتضى ما حدث في نفس موسى من الخوف من هول ما رأى؛ حتى أتاه الوحي؛ تثبيتًا له بعدم الخوف، وآمرًا له بإلقاء العصا.

فائدةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيَّة:

خيفةُ موسى عليه السلام بقيت مستكنَّة في نفسه

أفاد حرف الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 51.
(2) الزمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 75.
(3) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 52.

مُّوسَىٰ﴾؛ أنَّ ما كان من خيفةٍ عند موسى ﷺ هي في وعاء نفسه لم تظهر للناس ولم يعلم بها أحد، وأنَّها بقيت في نفسه لم يعلم بها إلا الله تعالى، وفائدة ذلك أنّ خوفه اقتصر على خشية أن ينصرف النَّاس مبهوتين بما رأوا من سحر السّحرة، دون أن يؤمنوا.

نكتةُ ذكرِ النَّفس لا القلب:

خـــوف مـوسى ﷺ عـــارضٌ نفسيٌّ لا ثبوتٌ قلبيٌّ

جاء ذكر النَّفس لا القلب في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾، والوَجْسُ: الفزع يقع في القلب[1]، وقد قُيِّد هنا بالنَّفس لا في القلب، فهو وجس محدود لا يمنعه من إنجاز مهمته التي أرسل من أجلها، فالخوف الذي وقع في نفس الرّسول لم يكن مهيمنًا على قلبه، فيمنعه من إنجاز أهم ما أرسل من أجله، وهو دخوله ميدان التّحدي.

بلاغةُ الإطناب بذكرِ القيود:

خـيـفـة مـوسى كـــانـــت عـلى الـدَّعـوة وتـأثر النَّاس بالباطلِ

ذِكرُ قيد ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ إطناب؛ ولو قيل: (فأوجس خيفة موسى) لصحَّ الكلام، وفهم المراد، فإنَّ الخيفة لا تكون إلَّا في النَّفس، وفائدة هذا الإطناب "الإشارة إلى أنها خيفةُ تفكُّر لم يظهر أثرها على ملامحه، أو جوارحه، وإنّما خاف موسى من أن يَظْهَرَ أمرُ السحرة فيساوي ما يَظهر على يديه من انقلاب عصاه ثعبانًا؛ لأنّه يكون قد ساواهم في عملهم ويكونون قد فاقوه بالكثرة، أو خشي أن يكون الله أراد استدراج السّحرة مدّةً، فيُملي لهم بظهور غَلَبِهم عليه، ومدَّةً لما تكون له العاقبة فخشي ذلك"[2].

توجيه المتشابه اللفظيّ في الذِّكر والحذف:

عـلـمُ الـمـلائـكـةِ مقترنٌ بالظَّاهر وعـلـم الـلـه مـطـلـقٌ يشمل الظاهر والسَّرائر

في قصَّة إبراهيم ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذّاريات: 28]، لم يُذكر قيد (في

(1) الخليل، العين: 6/ 161.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 259.

نفسه) وذلك أنَّ الآية أفادت ظهور الخوف على إبراهيم ﷺ؛ بدليل قول الملائكة له: ﴿لَا تَخَفۡۖ﴾ [الذاريات: 28]، والملائكة لا يعلمون ما في نفس إبراهيم ﷺ، ولكنّهم رأوا ذلك قد بدا على جوارحه، بينما قوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، فقد قال الله له: ﴿لَا تَخَفۡ﴾، والله يعلم ما يجول في النّفوس، وما يدور في الخواطر، وإنْ لم يظهر ذلك على جوارح موسى، فذكر مع موسى قيد: ﴿فِي نَفۡسِهِۦ﴾، لأنّ النّفس كانت وعاءً لذلك الخوف، غير ظاهرة على جوارحه، ولم يُذكر هذا القيد في شأنِ إبراهيم ﷺ؛ لأنّ الخوف بدا على جوارحه وهيئته، فعلمتِ الملائكة بذلك، وطَمأَنَتْه بعدم الخوف ممَّا رأى.

غرضُ تقديم شبه الجملة على المفعول:

الخيفةُ منحصِرةٌ في النَّفس محفوظةٌ من اللَّبْس

قُدِّم الجار والمجرور ﴿فِي نَفۡسِهِۦ﴾ على المفعول به ﴿خِيفَةٗ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ﴾؛ للاختصاص، فقد اختصّت النّفس بالخوف، فلم يظهر شيء من بوادره على القول أو الفعل؛ بل بقي الخوف في وعاء النّفس غير ظاهر لأحد من القوم.

توجيه المتشابه اللفظي في التقديم والتأخير:

أنفُسُ الأنبياء مُزكَّاة من أصل خِلْقَتِها

قُدِّم قيد ﴿فِي نَفۡسِهِۦ﴾ في قصَّة موسى ﷺ: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾؛ لأنّ أمر الخوف كان منغلقًا عليه في النّفس؛ أمَّا تأخير قيد ﴿فِي نَفۡسِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾ [يوسف: 77]، فلأنّ التّغاضيَ عن عداوة الآخرين وكراهيتهم، وعدمَ إظهار ردّ الفعل على ذلك، وإسرارَهُ في النّفس، هو من أخلاق الأنبياء، فقُدِّم ذِكْرُ يوسفَ لبيان أنّها من أخلاقِ النّبوّة؛ فأَنفُس الأنبياء مُزكَّاة من خِلْقَتِها، مُهيّأة للوحي، نشيطة في تلقّي الرّسالة.

دلالة لفظ ﴿خِيفَةً﴾:

الخيفةُ خوفٌ طبيعيٌّ يُضبط في النُّفوس ويُحبس في الصُّدور

لمَّا قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾ لم يبطئِ الوحي عن موسى في الأمر بإلقاء العصا؛ بل إنّ الخيفة اعْتَرَتْ نفسَ موسى لِما رآه من المشهد غير المُعتاد عليه وعلى النَّاس، فخاف أن ينصرف النَّاس قبل أن يؤمر بإلقاء عصاه فيفتتنوا، وجاء التَّعبير بـ﴿خِيفَةً﴾ لبيانِ أنَّها أقل من الخوف الأوَّل الذي حصل له عند أمر الله تعالى بإلقاء عصاه في قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ [النّمل: 10]، فلمَّا جاءه الأمر بإلقاء ما في يمينه تلاشى ما أوجس من الخوف، وعَلِمَ أنّه سَيهزِمُ تلكَ الجموعَ من الأفعال البشريّة؛ لأنّ الله تعالى هو الذي سينتصر بقدرته سبحانه، وأنّ المعجزة التي جَرَتْ على يديه أوّلَ مرّة ستَظْهَر اليوم مرّة أخرى؛ كيف لا وهي الميدان والقضيّة التي خُلقت من أجلها.

نكتةُ صيغة ﴿خِيفَةً﴾:

الخيفة خوفٌ لطيفٌ مؤقَّت

قوله: ﴿خِيفَةً﴾ اسم هيئة من الخوف، أُريد به مُطْلَقُ المصدر، وأصله خِوْفة، فقلبت الواو ياءً لوقوعها بعد كسرة، وإنْ دلّت على شيءٍ فدلالتها على القلّة والخوف اللّحظيّ أو الآنيِّ الذي سرعان ما يتبدّد، ويستحيلُ قوّةً وعزمًا، بعد أن أتاه الوحي من الله بالأمر بالإلقاء.

فائدة ذكر اسم ﴿مُّوسَىٰ﴾:

دفعُ تَوَهُّمِ أنَّه لم تقع من موسى عليه السلام خيفة

ابتدأت الآيات بنداء موسى عليه السلام ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ وانتهت بقوله: ﴿خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾، وهو المقصود بالكلام، إذ الخيفة وقعت في نفسه لا في نفس غيره بدليل اللّحاق ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾؛ إذ كان موسى في هذا الموقف مَحَطَّ أنظار النَّاس جميعًا، وليُعلم أنّ موسى عليه السلام سيكون هو الأعلى في هذا التّحدّي، وأنّ المعجزة التي سيأتي بها ستكون مَحَطَّ أنظار النَّاس جميعًا وسببَ إيمان أكثرهم، ولدَفْعِ توهُّمِ أنَّه لم تقع

في نفسه خيفةٌ، فكان تعيينه مُزيلًا لمثل هذا الوهم، ودفعًا لاحتمال مثل هذا الزَّعم، فموسى ﷺ هو محورُ القضيّة التي ستُزيل عروشَ الفراعنة الطُّغاة، التي بُنيت على إرهاب النَّاس واستعبادهم.

نكتةُ تأخير المسند إليه:

إحاطة موسى ﷺ بمجمل الحدث

أُخِّرَ ذكر المسند إليه وهو الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ فلم يقل: (فَأَوْجَسَ موسَى خيفَةً في نَفْسِه)؛ فتأخير ذكر الفاعل باعتبارِ أنَّه معلومٌ من السّياق، وللإشارةِ إلى أنَّ ذكرَه في هذا السّياق إنَّما هو لدفعِ أوهام الأفهام أن يكون المقصود سواه، ولبيان أنَّ الإيجاسَ كان في نفسِه لم يخرج منها، ولإكرامه في الذِّكر، إذ أحاط اسم موسى ﷺ بمجمل الحدث، وكان هو مَحَطَّ أنظار النَّاس أولًا وآخرًا.

علَّةُ الفصل بين الجمل:

تأييدُ الله تعالى حاضرٌ في عظائمِ الأمور ودقائقها

بين قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾، والآية التي سبقتها، شبهُ كمالِ الاتّصال؛ إذ إنّ الجملتين خبريّتان، فلمَّا قال في الجملة السَّابقة: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ قد يَرِدُ في ذهن المخاطَب عمَّا كان بعد ذلك الإيجاس؟ فجاء قولُه تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ليُبيِّن تأييدَ الله تعالى لنبيِّه ﷺ.

نكتةُ ذكر فعل القول:

ذُكر فعل القول ﴿قُلْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ دون أن يُقال: (لا تخف) بحذف ﴿قُلْنَا﴾؛ لتقويةِ النَّهي: ﴿لَا تَخَفْ﴾ في أسماع المخاطبين، وأنَّ النَّهي إنَّما صدر عن الله تعالى بذاته العليَّة.

تعليلُ علوِّ موسى ﷺ برعايته من الأعلى

نكتة التعريف بـ(ال) في قوله: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾:

ذكر النظم الكريم أن موسى ﷺ سيكون هو الأعلى، فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وهو المناسب للإخبار بأنَّه الأعلى، فقد اكتسب

علوَّ المكانةِ بكون الذي يرعاه ويتعاهده هو الأعلى ﷻ، فموسى الأعلى بالنسبة للسحرة والمناوئين، فهو اعتبار نسبي مقيَّد، وعلوُّ الله تعالى مطلَقٌ.

بلاغة الالتفات من الغَيْبَة إلى الخطاب:

الوحي تأييدٌ في المُذْلَهِمَّات وتقويةٌ في الصُّعوبات

التَفَتَ النَّظمُ من الغَيْبَةِ في قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ﴾ إلى الخطاب بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾، وفائدة ذلك الخطاب استحضار الدّعم النّفسي والتّأييد لموسى ﷺ بعد ما أوجس في نفسه من الخيفة، وعدم الإقبال على التّحدّي، فجاء خطاب الوحي بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وهو أفضل ما يمكن أن يتلقاه موسى في تلك اللحظات العصيبة والحرجة.

غرضُ إسناد الفعل إلى ضمير العظمة:

قوّة الخطاب هي بشارة لموسى ﷺ بالنّصر والعلوّ

أُسْنِد فعلُ القول إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾؛ لدلالته على قوة الجهة التي صدر عنها هذا القول، وناسب ذلك سياق الآية، وحدث الخيفة التي أوجسه موسى في نفسه مما رآه من أفعال السّحرة، فجاءته قوة الخطاب بضمير العظمة تأمره بعدم الخوف، وتبشره بتحقيق العلوّ على السّحرة وأفعالهم.

غرضُ النَّهي وبلاغتُه:

الخوفُ مركوزٌ في الفطرةِ لا يُنتزعُ إلَّا بأمرِ ربَّاني

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ جاء إلى موسى ﷺ نهيًا عن الخوف، وتطمينًا بالغلبة، وأمرًا بإلقاء ما في يمينه، وقد تكرر قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ [النمل: 10]، وقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۝٣١﴾ [القصص: 31]، وعندما أرسله إلى فرعون مع أخيه هارون؛ قال لهما: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: 46]، وذلك دليل على عظيم ما رأى من أفعال السّحرة؛ لكثرتها، إذ لا يُتصوّر أنّ

عصًا واحدةً سوف تكون كفيلةً بابتلاع العِصيِّ والحبال، ثمّ إنّ في ذلك دلالة على أنّ الخوف مركوز في جبلّة الإنسان، ولو كان نبيًّا، حتّى ينتزع منه انتزاعًا ربَّانيًّا.

بلاغةُ التوطئة بالنَّهي:

النَّهي توطئةٌ للأمر بإلقاء الثعبان المبين

لمَّا خرج أسلوب النّهي في قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ إلى معنى التّطمين والتّمكين؛ لأنّ الخطاب من الله تعالى إلى رسوله في أعظم موقف شهده موسى عليه السلام؛ فاقتضى ذلك من موسى الإقبال والمبادرة، فهو توطئة للأمرِ في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾، حيث كان الإلقاءُ لائقًا بمقام النّبوّة الحاملة لأعظم دلالاتها، التي لا يعتريها خوفٌ أو تردُّدٌ.

فائدةُ تجرُّد الخطاب من النِّداء:

النّهي وحيٌ ضمني فناسب حذف النِّداء

تجرَّد قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ من النِّداء، بخلاف قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ﴾ [القصص: 31]، وذلك لاختلاف السياقين، فالسياق هنا إخبارٌ عن الوحي الإلهامي الذي أوقعه الله تعالى في نفس موسى عليه السلام، وأمَّا في السياق الوارد في سورة القصص فهو خطابٌ مباشرٌ من الله تعالى، فناسب النداء.

غرضُ التّوكيد:

البشارة العاجلة لموسى بالاستعلاء على الخصوم

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ تعليلٌ للأمر بترك الخوف؛ وقد ورد ذكر الخوف في خطاب موسى عليه السلام، ونفيه عن المرسلين، وقد أُكّد هنا بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؛ لأنّ الرّسول لا يستحوذ على قلبه الخوف، فهو منصور بقوّة الله تعالى، ومؤيّد بالمعجزات التي هي أفعال الله لنصرة رسله، فتضمّن تعليل ترك الخوف بشارة عاجلة لموسى بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، وذلك ردًّا على قول السّحرة: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ [طه: 64].

بلاغة اجتماع التّوكيدات:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ تقريرٌ لغلبته وقهره، وتوكيد

بالاستئناف، وبكلمة التشديد، وبتكرير الضمير، وبلام التّعريف، وبلفظ العلوّ، وهو الغلبة الظّاهرة، وبالتّفضيل[1]، وهو دليل على أن ما خامره عليه السلام من الخوف إنّما هو خوف ظهور السّحرة عند العامّة ولو في وقت ما، وهو وإن كان موقتًا بأن الله ينجز له ما أرسله لأجله، لكنه لا مانع من أن يستدرج الله الكفرة مدّة قليلة لإظهار ثبات إيمان المؤمنين[2].

حـرصُ الـدّاعـي على النّاس علوٌّ وارتقاء

دلالة اجتماعِ ضمير الوصل والفصل:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ تكرّر الضّمير للتّوكيد، فبعد أن ذكر ﴿إِنَّكَ﴾ بضمير المخاطب المتصل، ذكر بعده الضمير المنفصل ﴿أَنتَ﴾، فأكّد تطمين المخاطب؛ وهو رسول الله موسى عليه السلام؛ أنّه سيكون في أعلى مكانة في ذلك الموقف، وأجَلّ حالة من النّصر والغلبة.

تـــوريـــثُ الطُّمأنينةِ معينٌ على السَّكينة

دلالة تعريف الخبر:

أفاد تعريفُ الخبر: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ التّعظيم، وفيه إيماءٌ إلى ما سيكون لموسى عليه السلام بعد هذا الموقف من شأن عند بني إسرائيل، وأفاد التّعريف بـ (أل) قَصْرَ ذلك العلوّ على موسى تجوّزًا بقصد المُبالغة، وذلك دالٌّ على انهيار الخصم مع ما يملك من عظيم القوّة وقدرة التّحشيد لها.

الإيـــمـــاءُ إلى الشَّأن المستقبليّ لموسى عليه السلام

بلاغةُ الكنايةِ عن الصِّفة:

قوله: ﴿أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، أي: الغالب لمن ناوأَك في هذا المقام[3]، فيكون العلوُّ هنا كنايةً عن الغلبة، وقد ورد هذا اللّفظ خاصّة ردًّا على ما قاله السّحرة لبعضهم، وهم يستثيرون قواهم وقدراتهم؛ إذ

العلوّ والتّمكين دلالـــة الـنّـصـر والغَلَبَة

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 75.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 260.
(3) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 52.

قالوا: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ [طه: 64]؛ حتمًا فإنّ موسى قد سمع ما قالته السّحرة، فجاءه النّصر من الله والتّطمين بأنّ العلويّة والفلاح ستكون له ولدعوته في هذا النزال والتّحدّي.

فائدةُ استعمالِ صيغة التّفضيل:

الـــــرَّدُّ عـلى السّحرةِ والإخبار بنتيجة الإلقاء قبل وقوعه

اسم التفضيل صيغة تشتق من الفعل للدلالة على اشتراك شيئين في صفة وزيادة أحدهما على الآخر فيها، وفائدة هذه الصّيغة هُنا؛ أن موسى ﷺ سمع من السّحرة أنّهم يريدون أن يكونوا الأعلى كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾، فجاء اسم التّفضيل ليُعْلِمَه ويُطمئنه: أنّه سيكون الأعلى عليهم حال إلقائه ما في يمينه، لأنّها المعجزةُ من عند الله وتصديقُ الله له بالرّسالة، فكان طلبُ علوِّ السّحرة لأنفسهم ضرورةً لتحقّق علوّ موسى ﷺ أمام تلك الحشود البشريّة، التي جُمعت في مهرجان كبير، فتمّ بمعجزة موسى إنهاءُ كلّ محاولات فرعون؛ من طلب الاستعلاء، وتأليه نفسه، فهي تضمَّنت الرَّدَّ عليهم، وإعطاء نتيجة الإلقاء قبل وقوعه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(أَعْلَى) و(فوق):

تُستعمل أعلى في المعنويّات أكثر من فوق

أَعلَى الشَّيْء يكون مِنْهُ، يُقال: هوَ أَعلَى النَّخْلَة، يُراد أَنه في نِهايَة قامتها، وتقول: السَّماء فوق الأَرْض، فلا يَقتَضي ذَلِك أَن تكون السَّماء من الأَرْض، وأَعْلَى يَقْتَضي أَسْفَل، وفَوق يَقْتَضي تَحت، وأَسْفَل الشَّيْء مِنْهُ، وتَحْته لَيْسَ مِنْهُ، فيُقال: وضعته تَحت الكوز، ولا يُقال: وضعته أَسْفَل الكوز، بِهَذا المَعْنى ويُقال: أَسْفَل البِئْر، ولا يُقال: تَحت البِئْر[1]، فلمَّا قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؛ أي: الأعلى

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 184.

من بين المُتحدّين، بمعنى التّفوّق في الحجّة والبيّنة، فهو أعلى على مَن هم مِن جنسه مِن البشر المُتحدّين، كما أنَّ الأعلى تُستعمل في المعنويَّات أكثر من استعمال فوق، فحسُن الإتيان بها هنا.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»